تغطيس الكثير من الكادرات والنشطاء في نزعة استهلاكية وتسابق على الوظائف والرواتب والامتيازات والارتخاء والحسابات الذاتية، يعزز من هذه العملية توالد المنظمات غير الحكومية التي ناهزت الألفين، وأصبحت الفئات الوسطى التي أنتجت المقاومة وثقافتها ووسائل اعلامها وفكرها السياسي، بل تعليم الآلاف في جامعات البلدان الاشتراكية، وتناهز اليوم ٢٥٪ من قوة العمل و٤٩٪ في رام الله حسب الدكتور جميل هلال، غاية في الضياع والضبابية، بما ينطبق عليها كلمات المفكر اكونور عن أمريكا اللاتينية قبل ثلاثة عقود (كانت الطبقة الوسطى ممزقة متحللة، لم يكن لها مقاومة منظمة)[٢٨٥].

وتضاعفت أعداد الطلبة، بما جعل نسبتهم تفوق نسبة الطلبة في بلدان خضعت للاستعمار، فهم في الصفوف الثانوية يناهزون ربع مليون، وتناسلت الجامعات المحلية وأصبحت تضم ١٣٠ الف طالب وطالبة، بما يشكل تمركزا وقاعدة واسعة نسبيا. وفي استبيانين عامي١٩٩٣ و١٩٩٤ في سجون جنيد والنقب وعسقلان تبين أن ٣٤٪ من الأسرى طلبة و٣٠٪ عمال والبقية فئات من الموظفين والمستخدمين الذين يصنفون «برجوازية صغيرة»، و٢-٣٪ فلاحون ومثلهم من البرجوازية الوطنية و٨٥٪ أعمارهم دون ٤٠ سنة و٦٥٪ لاجئون.

يمكن القول إن المدينة الفلسطينية، رغم أنها مدينة خدماتية وصغيرة، غير أنها مركز الحركة السياسية، مثلما أن الامتدادات الفصائلية في المخيمات والأرياف مركز الفعل المقاوم، الأمر الذي جعل مركز ثقل النضال مشوشاً فالذي يقود لا يقاوم والذي يقاوم لا يقود.

ومثل هذا المثال لم يكن منذ البدايات، بل سارت الأمور بتدرج في هذا الاتجاه.

(وعلى وجه الاجمال تكونت بتدرج الرؤية الاستراتيجية التالية في الوطن المحتل:

١. لن يستسلم الشعب الفلسطيني للمشروع الصهيوني العنصري، وسينتج على الدوام ارادة مقاومة تعبر عن قضيته العادلة، وهو في تنام ديموغرافيا وتعليميا وينتقل بتواتر من مرحلة التعويم الطبقي الى التقسيمات الطبقية التقليدية.

٢. العدو متفوق عسكريا واقتصاديا..... وسوف يزداد شراسة ووحشية وتوسعية واقصائية، وأنه لا يسعى لسلام حقيقي مع الشعب الفلسطيني، بل يسعى للاستيلاء على وطنه، وبعد ازاحته من الجغرافيا ازاحته من السياسة والتاريخ مستفيدا من الدعم الامبريالي والضعف العربي

٢٨٥) وودبس، جاك، نظريات حديثة.. مرجع سابق ص ٢٣٢